تهجير الشركس الى الدولة العثمانية ١٨٥٩-١٨٦٧م

أ. د. نسيبة عبدالعزيز عبدالله

جامعة الموصل – كلية الآداب

الملخص

يتناول هذا البحث جانباً من المأساة التي عاشها الشعب الشركسي بعد أن أصبحت بلاده هدفا للتوسع الروسي الذي اتخذ طابعاً جدياً في عهد بطرس الكبير الطامح إلى إقامة إمبراطورية روسية قوية، فبدأت الحملات العسكرية المتوالية على منطقة القفقاس عموماً ومنها: بلاد الشركس، واستمرت هذه العمليات حتى عام ١٨٥٩م حينما أعلن الروس انتصارهم على الشيخ شامل ونوابه، أعقبها عمليات وحشية انتقامية قضت على ما تبقى من مقاومة الشعب الشركسي لتعلن روسيا انتصارها النهائي عام ١٨٦٤م، وقد تمكنت في هذه المدة من تثبيت سلطتها، وإتباع سياسة قائمة على خيارين لا ثالث لهما بالنسبة إلى الشعب الشركسي، وهما الاختيار بين ترك مناطقهم للروس والقوزاق والعيش في المناطق التي تحددها الحكومة الروسية والتي هي أشبه بالمعتقلات الجماعية أو الهجرة إلى الدولة العثمانية؛ ولأجل طردهم وضعت خطط ممنهجة كان نتيجتها مأساة كبيرة لشعب كامل أقصي عن دياره بالقوة في ظروف قاسية أدت إلى موت الكثير منهم، واستمرت هذه المأساة حتى في ارض الشتات في ظل السلطة العثمانية التي أسكنتهم في مناطق المواجهة مع الروس او استعملتهم في خلق توازن عرقي وديني في بعض المناطق مما أبقاهم في دوامة الحروب.

الكلمات المفتاحية: الشركس، يفديكيموف، انابه، الشابسوغ، البحر الأسود.

Al Malweah for Archaeological and Historical Studies, Vol 8, Issue 26, Nov 2021
P-ISSN: 2413-1326 \ E-ISSN: 2708-602X

Deportation of Circassians to the Ottoman State 1859-1867 A.D

Dr. Nusseibeh Abdulaziz Abdullah
University of Mosul- College of Arts

Abstract

This research deals with an aspect of the tragedy experienced by the Circassian people after their country became the target of Russian expansion, which took a serious character during the reign of Peter the Great, aspiring to establish a strong Russian empire. Successive military campaigns began on the Caucasus region in general, including the Circassian country. These operations continued until the year 1859 AD, when the Russians declared their victory over Sheikh Shamil and his deputies. These operations were followed by brutal retaliatory operations that eliminated the remains of the Circassian people's resistance, so that Russia declared its final victory in 1864 AD. The Circassian people have the two options between leaving their regions to the Russians and Cossacks and living in the areas determined by the Russian government, which are more like collective detention centers or immigration to the Ottoman Empire, in order to expel them, systematic plans were drawn up, the result of which was a great tragedy for an entire people, who was excluded from their homes by force in harsh conditions that led to the death of many of them. This tragedy continued till the diaspora area under the Ottoman rule that placed them in front of the Russians and used them to create racial and religious balance in some areas, Consequently, they are kept in the cycle of wars.

Keywords: Circassians, Yevdikimov, Anapa, Shapsug, Black Sea.

المقدمة

مثلت منطقة القفقاس بما تحويه من خيرات وموقع إستراتيجي عامل جذب للروس الذين تنازعوا عليها مع الفرس والعثمانيين، وقد مرت السيطرة الروسية على المنطقة بعدة مراحل ولاسيما في بلاد الشركس، ومنذ القضاء على نواب الشيخ شامل عام ١٨٥٩ في غرب القفقاس بدأت روسيا ترسخ أقدامها في المنطقة، وفي تلك المدة وضعت الخطط لتفريغ المنطقة من سكانها، ولاسيما في بلاد الشركس، إذ وضعت خطة منظمة منذ العام ١٨٦٠ لهذا الغرض بعد أن أعلنت نصرها النهائي واحتلال المنطقة بالكامل في عام ١٨٦٤ م، ومن هنا بدأت المأساة الحقيقية لنزوح الشركس، والتي سنتناولها في هذا البحث، وسيتم التمهيد للموضوع بالحديث عن الاحتلال الروسي لبلاد الشركس، ثم السياسة الروسية تجاه الشركس، والتي هدفت إلى إفراغ المنطقة من السكان، ثم عملية التهجير في مدة الدراسة من مناطقهم الى سواحل البحر الأسود، ونقلهم إلى الدولة العثمانية، ومعاناتهم في ظل الدولة العثمانية وأماكن سكناهم الجديدة فيها، كل هذه التفاصيل تناولها البحث استناداً الى عدة مصادر منها: الوثائق الروسية: وهي أوامر صادرة من القيادات العسكرية في القفقاس إلى القيادات الأدنى فضلا عن المراسلات بين تلك القيادات والحكومة الروسية، وقد وضحت هذه الوثائق حجم المأساة التي أصابت الشركس الذين لم ينعموا بالاستقرار منذ وطئت أقدام الروس أرضهم .

Al Malweah for Archaeological and Historical Studies, Vol 8, Issue 26, Nov 2021
P-ISSN: 2413-1326 \ E-ISSN: 2708-602X

تمهيد: الاحتلال الروسي لبلاد الشركس

سعت روسيا منذ عهد بطرس الكبير (١٦٨٢-١٧٢٥) إلى التوسع في منطقة القفقاس المجال الحيوي لها، وكان الهدف بناء روسيا قوية؛ لتكون قادرة على استعادة أمجاد الإمبراطورية البيزنطية واستعادة القسطنطينية، كما أعلن عن ذلك بطرس الكبير، وكانت البدايات الأولى لهذا التوسع في بلاد الداغستان قبل توليه العرش، فقد أرسلت روسيا منذ عام ١٥٩٤م حملاتها؛ للسيطرة على المنطقة وبناء القلاع فيها، أما الشيشان فتأخر التوجه إليها إلى عهد بطرس الكبير تحديداً عام ١٧٢٢ م[١]، وكذلك بالنسبة إلى بلاد الشركس فقد خاضت روسيا للمدة (١٧٢٢-١٧٣٥) سلسلة من الحروب ضدها لم تحقق نتائج مهمة، واضطر الروس في بعض الأحيان إلى الانسحاب من تلك المناطق، بسبب شراسة المقاومة الشركسية[٢].

وقد دخلت روسيا في منافسة على القفقاس مع الدولة العثمانية أوقعت عدة حروب منها حرب: (١٧٣٦-١٧٣٩م) والتي انتهت بالتوقيع على معاهدة بلغراد عام ١٧٣٩، وكان من ضمن بنودها استقلال منطقة كباردیا[٣]، وفي عهد كاترين الثانية (١٧٦٢-١٧٩٦م) أخذت الهجمات الروسية على بلاد القفقاس عموماً والشركس بصفة خاصة أبعادً أخرى، فبدأت عمليات عسكرية منظمة مهدت لها بإقامة سلسلة من الحصون والقلاع؛ لإسكان القوزاق[٤] فيها، وأخذت بالتوسع في بنائها تدريجياً؛ لتكون حاجزاً على طول الحدود الشمالية للقفقاس، وسمي ذلك بالخط القوزاقي العسكري او خط التيرك الذي يبدأ من منبع هذا النهر حتى مصبه، فأصبحت هذه القلاع والحصون قواعد عسكرية تحولت تدريجياً إلى مستوطنات كبيرة، ولعل بداية بنائها كان عام ١٧٦٣ م ومن أهمها: حصن مزدوك على نهر التيرك في بلاد القرطاي وهو من المواقع المهمة للروس تحول عام ١٧٧٠ إلى مدينة بهذا الاسم [٥]، وكان سكان القبرطاي قد ارسلوا الأمير (قايسن قيتوتة) احد أمرائهم الى العاصمة الروسية آنذاك سانت بطرسبرغ عام ١٧٦٤م؛ للاحتجاج على بناء القلعة، الا انه لم يجد جواباً ثم كرروا طلبهم عام ١٧٧١ م وابلغوا كاترين الثانية ان هذا الحصن بني خلافا لرغبة الشركس، الا انها رفضت طلبهم بل وزادت من الاهتمام بحصن مزدوك[٦].

وكانت روسيا في المدة (١٧٦٨-١٧٧٤م) تخوض حرباً مع الدولة العثمانية[٧] انتهت بهزيمة العثمانيين وتوقيع معاهدة كجك قينارجي عام ١٧٧٤والتي حصلت بموجبها روسيا على منطقة القبرطاي، وسمح لها بإنشاء قواعد برية وبحرية على سواحل البحر الأسود، واستقلال شبه جزيرة القرم عن الدولة العثمانية، واستقلال منطقة الكوبان شمال غرب القفقاس[٨].

وجعلت هذه المعاهدة السيادة للروس في منطقة القفقاس عموما بدلاً عن العثمانيين، وبدأ الروس بوضع الخطط للسيطرة على المنطقة، وقد وضعت كاترين الثانية عام ١٧٧٥ خطة للسيطرة على بلاد الشركس وانتهت في العام التالي بإنشاء خطوط الاستحكامات العسكرية في مناطق تيرك وكوبان وبذلك تمنت محاصرة الشركس من الشمال، فقد كانت المعاهدة المذكورة بالغة الأثر على الشركس، إذ وجهت روسيا في المدة (١٧٧٦-١٧٩٣) سلسلة من الحملات العسكرية قاومها الشركس بشجاعة نادرة، وكانت روسيا تريد استنزاف قوتهم وإفقارهم، وفي كل هذه الحملات تقوم بإبادة كبيرة للقرى الشركسية ونهب ممتلكاتها، وفي هذه المدة تمكنوا من القضاء على مقاومة الشيخ منصور الذي كان يقود حرباً في معظم أجزاء القفقاس بمساعدة العثمانيين، ودخل إلى جانبهم في حروبهم مع روسيا (١٧٨٧-١٧٩٢)[٩]، ودافع عن انابة مركز الوجود العثماني في القفقاس حتى اسر عام ١٧٩١، وسيطرت روسيا على المدينة، وكان يقود الحملة على مدينة انابة الكونت جودفيتش، وارتكب مجازر وحشية فيها[١٠].

انتهت هذه الحرب بتوقيع صلح ياسي عام ١٧٩٢ والذي أقر ما اتفق عليه في معاهدة كجك قينارجي ١٧٧٤م، وتعهدت فيه الدولة العثمانية فيما يخص القفقاس بتامين حدود روسيا الجديدة في منطقة الكوبان، مقابل انسحاب الروس من منطقة انابه[١١].

وبعد هذه المعاهدة نعمت بلاد الشركس بفترة هدوء بسبب انشغال القيصر الروسي باولو الأول (١٧٩٦-١٨٠١) بالمؤامرات الداخلية التي انتهت بمقتله، فضلاً عن انشغاله بالحرب مع الدولة القاجارية في إيران (١٧٩٦-١٩٢٥) والتي حاولت ضم جورجيا الى ممتلكاتها، ومع ذلك في السنتين الأخيرتين من حكمه بدأت الهجمات على بلاد الشركس من جديد، واستمرت للمدة (١٨٠٠-١٨١١م)، اتبعت فيها روسيا أبشع أساليب القتل، والإبادة، والتشريد، ومصادرة الأملاك، وعلى الرغم من ان العثمانيين في انابه كانوا يقاتلون إلى جانب الشركس الذين اظهروا فيها بسالة كبيرة إلا أن النتيجة كانت لصالح الروس، واضطر العثمانيون لعقد معاهدة مع الروس هي معاهدة بخارست عام ١٨١٢، والتي اقرت الوجود العثماني في انابه، فيما أعطي الساحل القفقاسي على البحر الأسود من مصب نهر بزابا الى ريون للروس [١٢] ومن الملاحظ أن هذه المعاهدة والمعاهدات السابقة تهدف الى ضمان حقوق الدولتين بعيداً عن حقوق شعوب القفقاس ومنهم: الشركس الذين دافعوا عن بلادهم بشراسة لكنهم تعرضوا للإبادة والتهجير عبر سنوات متلاحقة.

وعلى الرغم من أن روسيا لم توقف حملاتها لاحتلال بلاد الشركس لكنها هدأت قليلاً اعقاب معاهدة بخارست ١٨١٢، إلا أن الجنرال فلاسوف قائد قوات البحر الأسود قاد حرباً شرسة ضد

الشركس منذ عام ١٨٢٢م،وعندما وقعت الحرب الروسية العثمانية ١٨٢٨-١٨٢٩ اشترك فيها الشركس؛ أملا في دعم العثمانيين[١٣]، ولكنهم تعرضوا لهجمات وصفت بالوحشية، فقد كانت عملية إبادة حقيقية لهم، لدرجة استنكرها بعض الضباط الروس، قال احد هؤلاء: "أنها منافية للقانون، وان غرضه (أي فلاسوف) لم يكن الحصول على أوسمة التمييز الحربي هو ومرؤوسيه... بتدمير مساكن الشركس البؤساء، وإنما كان أساسها غروراً لا يغتفر وأنواعاً من المطامع المشينة..."[١٤].

وكان للموقف العثماني الضعيف في هذه الحرب، واحتلال الروس مركز العثمانيين في القفقاس وهو مدينة انابة فضلاً عن وصولهم إلى مدينة أدرنة، أثره السلبي على الشراكسة الذين ناصروا العثمانيين، ولاسيما أنهم تركوا لوحدهم أمام وحشية الروس بعد ان عقدت معاهدة ادرنة عام ١٨٢٩ بين العثمانيين والروس، تنازل فيها العثمانيون عن عدد من المدن القفقاسية ومنها: انابه كما أقرت المعاهدة وادي الخور حداً فاصلاً بين العثمانيين والشركس لتنفرد روسيا بهم، وان تكون المنطقة الممتدة من منبع نهر الكوبان حتى البحر الأسود تحت الحكم الروسي[١٥]، وقد أدت هذه المعاهدة الى فتح أبواب القفقاس على مصراعيها أمام الروس.

واستمر الشراكسة في حروبهم ضد روسيا في البحر الأسود فضلاً عن العمليات البرية، وعلى الرغم من محدودية قوتهم الا انهم كانوا يعوقون تقدم القوات الروسية في بلادهم لبعض الوقت، وقد واجه الروس تلك المقاومة بالمزيد من العمليات الوحشية وأشهرها: التي قام بها اللواء زاس قائد الحملات العسكرية الميدانية، الذي شن حملة عسكرية شاملة ضد مناطق الشركس في المدة (١٨٣٠ -١٨٣٤) وصفت بانها عمليات إبادة منظمة لم يسلم منها حتى الحيوانات وأحرقت فيها مزارع الشركس[١٦].

وعلى الرغم من ذلك قرر الشركس عام ١٨٣٥ عدم الخضوع للروس وأعلنوا استقلالهم في مؤتمر شعبي حضرته قبائل الشركس الرئيسة، وحاولوا كسب الدعم الخارجي ولاسيما بريطانيا وفرنسا [١٧]، إلا أن روسيا لا يمكنها قبول هذا الأمر وذكرت الشركس بمعاهدة ادرنة مع الدولة العثمانية عام ١٨٢٩ م التي تنازلوا بموجبها عن المنطقة لصالح الروس، وقد زار القيصر الروسي نيقولا الأول المنطقة في عام ٢٠/٩/ ١٨٣٧م، وحث قواته هناك على الإسراع بالسيطرة على المنطقة وأمر ببناء الحصون على ساحل البحر الأسود، إلا أن الشركس شنوا عدة هجمات على تلك الحصون أثناء إنشائها قابلها الروس بعمليات إبادة منظمة شملت الأطفال والنساء، بأوامر من الجنرال جولفين الذي عينه القيصر واليا على القفقاس بالكامل[١٨].

اضطر الشراكسة على اثر ذلك والحصار الخانق الذي تعرضوا له بعد بناء تلك الحصون الى المقاومة، وهناك كان دور نواب الشيخ شامل، فقد أرسلهم لتنظيم وقيادة حركة المقاومة التي استمرت حتى اعلن محمد امين احد نوابه عن استسلامه للروس عام ١٨٥٩ بعد غزوهم لبلاد الشركس [١٩] .

أولاً: السياسة الروسية والمقاومة الشركسية

بعد استسلام الشركس عام ١٨٥٩م، بدأت روسيا تضع الخطط لكيفية التعامل مع الشعب الشركسي، وكان من أول تلك الخطط هي التضييق على السكان لدفعهم الى الهجرة ومنها الهجرة الداخلية، ولاسيما سكان الجبال ليسهل على روسيا قمعهم، ففي ١٨٦٠م كان هناك اجتماع للقيادة العسكرية الروسية تم فيه وضع الخطط في هذا المجال ومنها الخطة التي وضعها الفريق فيلبسون والتي تقضي بترحيل سكان الجبال الى مناطق سهلية لتسهل مراقبتهم ولاسيما انه كان يقول: "انه في حال خضوعهم يظل السكان الأصليين غير مأموني الجانب"، لذلك يجب " حرمان الجبليين من ضروريات الحياة المناسبة ونسلبهم المساحات الملائمة للزراعة والرعي، وعدم السماح لهم بالزراعة " وإقامة مستوطنات قوقازية وروسية في الأماكن التي يتم إخلاؤها[٢٠].

اعترف الضباط الروس بان هدفهم هو تنظيف الأرض من الشركس كما يقولون، فكانت قراهم عرضة للتجريف، واخذ السكان إلى المستوطنات القوقازية مؤقتاً ريثما يتم نقلهم الى سواحل البحر الأسود ورحلوهم الى الدولة العثمانية [٢١]، الهدف الأساس كان الترحيل من أراضيهم لذا فأنهم يجردون من ضروريات الحياة لكي يكون الترحيل الخيار الوحيد لديهم، في وقت كانت العمليات العسكرية مستمرة وبناء المستوطنات قائماً على قدم وساق، كذلك أزيلت الكثير من الغابات التي يمكن أن تكون ملاذاً لهم[٢٢].

استمرت العمليات العسكرية ضد القبائل الشركسية في المناطق الجبلية فيما تركت المناطق الساحلية آمنة نوعاً ما ليلجأ اليها الشركس تمهيداً لتهجيرهم الى الدولة العثمانية، وفي الوقت ذاته جرت مفاوضات بين الروس والعثمانيين منذ عام ١٨٦٠؛ لترحيل (٤٠-٥٠) الف مهاجر قفقاسي الى الدولة العثمانية التي وافقت على الأمر [٢٣]، وكان الروس يستعينون بالقوزاق في شن الهجمات على مناطق الشركس، فاستولوا على مساكنهم ومواشيهم وقتلوا أعداد كبيرة منهم واسروا الأطفال والنساء الذين نجو من القتل، واثناء تلك العمليات صادر الروس ما يقرب من ٣،٢٧ مليون هكتار من أراضي الشركس قبل عملية التهجير ولاسيما الأراضي الواقعة في حوض نهر الكوبان وشماله[٢٤].

إزاء هذه السياسة اضطرت بعض القبائل الشركسية بعد الماسي التي عانوها من قتل وتشريد وتردي الأوضاع الاقتصادية الى ترك المقاومة وإعلان الولاء للروس، إلا أن بعض القبائل فضلت البقاء على سياسة المقاومة للمحتل الروسي ومنهم قبائل الشابسوغ، فقد نظم زعيمهم (علي بن حانتوخو) حركة مقاومة في إقليم الشابسوغ، وتمكن في تشرين الأول ١٨٦٠ م من إيقاع خسائر كبيرة بالروس وأجبروهم على الانسحاب إلى ما وراء نهر الكوبان، إلا أنهم أثناء هذه الحملة بالمقابل فرضوا سيطرتهم على قبائل التشمغوي، والماخوش، والبسليني[٢٥].

وكان الهدف الأساس للروس هو؛ السيطرة على كامل بلاد القفقاس ومنها بلاد الشركس ولايتحقق ذلك الهدف الا بترحيل سكان المنطقة بما فيهم الشركس، لذلك وضعت خطط عديدة لتحقيق هذه الغاية ومنها الخطة التي وضعها الجنرال (يفد وكيموف) القائد العام للقوات الروسية في منطقة الكوبان عام ١٨٦٠ للقضاء على المقاومة الشركسية نهائياً، تقضي الخطة بإقامة مستوطنات للشراكسة سكان الجبال في المنطقة الواقعة بين نهر لابا ومساكن الشابسوغ، ويفرض عليهم الإقامة بها او الهجرة الى الدولة العثمانية، وقد وضع سقفاً زمنياً لتنفيذ هذه الخطة مابين (٢-٣) سنوات [٢٦]، وقد ذكر ان سبب تهجيرهم هو "الأهمية الستراتيجية لشمال غرب القفقاس بالنسبة إلى روسيا فهي متاخمة للبحر الأسود، وإبقاء الشركس فيها ينطوي على مخاطرة كبيرة، فحتى لو خضعوا لروسيا في الوقت الحالي، فانه في حال وجود دعم لهم من طرف معادٍ عبر البحر الأسود فأنهم سيستأنفون القتال ضدنا " [٢٧] .

وهنا يستند يفدوكيموف إلى محاولة الشركس في وقت سابق من هذا العام أي ١٨٦٠ م طلب المساعدة الخارجية من العثمانيين والبريطانيين فقد اجتمع في حزيران من العام المذكور زعماء قبائل الابازيخ والشابسوغ والاوبيخ وشكلوا مجلساً من العلماء ضم (١٥) عضواً تحكم مناطقهم وقسموها على (١٢) وحدة إدارية، وقرروا عرض قضيتهم على بريطانيا وطلبوا مساعدتها[٢٨]، وبعد ان علم الروس باجتماعهم هاجموا المبنى ودمروه، وأعقبوه بعمل مكثف في بناء المستوطنات للقوزاق وعززوا قواتهم التي بدأت بشن حرب واسعة على قبائل الشركس لإجبارها على الرحيل، امام هذا الوضع حاولت قبائل الشركس التفاوض مع الروس، وإعلان الخضوع في مقابل عدم تهجيرهم من أراضيهم، الا ان يفدوكيموف رفض طلبهم فضلاً عن أنه رفض طلباً آخر تقدموا به؛ لإرسال وفد عنهم الى القيصر الروسي[٢٩]، فقد كانت روسيا قد اتخذت قراراً بشأن الشركس لا رجعه فيه، وهو إبادة سكان المرتفعات او تهجيرهم وعدم القبول بخضوعهم، والهجرة تكون اما الى سهول الكوبان المليئة بالمستنقعات او الى الدولة العثمانية، لذا

فضل الشراكسة الهجرة الى الدولة العثمانية بدلا من البقاء في ظل السيطرة الروسية وفي منطقة غير صالحة للعيش[٣٠].

ومن جهة أخرى وفي إطار سياسات الاحتلال عملت روسيا بكل جهدها بعد عام ١٨٦٤م على روسنة بلاد الشركس من حيث اللغة والعادات والتقاليد الروسية التي فرضت على السكان، ولجأت الى تغيير أسماء المعالم الجغرافية بأسماء روسية، وسميت المناطق بأسماء القادة الروس الذين كان لهم دور في إبادة السكان وتهجيرهم ومنها على سبيل المثال تغيير اسم نهر (بسز) الى (كوبان)، فضلاً عن فرضت اللغة الروسية والحروف الروسية في الكتابة، وساعدها في ذلك القيادات الشركسية الموالية لها، وقد استلهمت روسيا التجربة الأمريكية مع الهنود الحمر ونفذتها بكل أشكالها من تدمير للقرى والبلدات وإبادة للسكان[٣١].

ثانياً: تهجير الشركس الى الدولة العثمانية

بعد قضاء الروس على مقاومة الشيخ شامل ونوابه ومنهم: نائبه في بلاد الشركس محمد امين عام ١٨٥٩، بدأت روسيا عملياتها الجادة لتهجير الشركس وبالاتفاق مع الدولة العثمانية، وقد تشكلت في استانبول عام ١٨٦٠ لجنة خاصة لهذا الغرض وفي العام نفسه وافقت على توطين (٣) آلاف شركسي في انحاء مختلفة من الدولة العثمانية[٣٢]. وكانت روسيا كما قلنا سابقاً قد وضعت في هذا العام خطة لإجلاء الشركس من بلادهم ما بين ٢-٣ سنوات.

واندفع الشركس للهجرة؛ بسبب الظلم الذي عانوه من الروس فضلا عن الدعاية الضخمة التي أشاعها العثمانيون بين الشركس والتي تتعلق بإعطائهم امتيازات كبيرة فيما لو هاجروا، وكانت اكبر موجة ترحيل للشركس في فترة الدراسة بين عامي (١٨٦١-١٨٦٢) و (١٨٦٣-١٨٦٥)[٣٣]؛ ولكي يبدو ان التهجير كان برغبة الشركس، فرضت عليهم الحكومة الروسية ان يتقدموا لها بطلبات للهجرة الى الدولة العثمانية لمدة سنة ومن يطلب الترحيل النهائي لن يسمح له بالعودة مرة ثانية، وبموجب القوانين الروسية سمح لهم اخذ عوائلهم وبيع ممتلكاتهم، وحدد لهم ثلاثة موانئ للمغادرة وهي: (كيرتش وانابه، وسوخوم كاله)[٣٤].

وفي العام ١٨٦٠ وتحديداً في اشهر الصيف كانت عملية التهجير قائمة وقد ارسل الجنرال يفدوكيموف امراً الى رئيس مقاطعة الكبردي (اوربيلياني) في العام نفسه حثه فيه على قبول طلبات الهجرة التي يتقدم بها السكان، وقال: "ان تقليل اهل البلاد (المؤذين) سيصب في مصلحة روسيا" [٣٥].

في العام ١٨٦٠ كانت أولى دفعات التهجير هي (٣٠) عائلة هجرت في ٥ أيار تبعتها تهجير ٨٠ عائلة في ٢٢ أيار، وهاجرت ٦٠ عائلة منهم عن طريق البحر الأسود فيما هاجرت

(٢٠) عائلة منهم الى تفليس؛ لتهاجر عن طريق البر، الا ان المشاكل التي كانت تثيرها العوائل المهجرة عن طريق البر، جعلت السلطات الروسية هناك تصدر امراً بمنع الهجرة عن طريق البر واقتصارها على البحر فقط، وفي شهر حزيران، هاجرت (٤٤٢) عائلة أخرى عن طريق البحر، وكان الجنرال يفدوكيموف يبعث بكل تفاصيل هجرة العوائل الى الدولة العثمانية لتهيئة الأمور اللازمة لإسكانهم حسب الاتفاق المبرم بين الجانبين[٣٦].

وعادة ما يتم التهجير بهجوم تشنه القوات الروسية على مناطق الشركس يقتل فيه الكثير منهم وتحرق قراهم وينقل ما بقي منهم على سواحل البحر الأسود تمهيدا لإرسالهم الى الدولة العثمانية، ثم تبدأ عملية التوطين للقوزاق في مناطق الشركس الاصلية[٣٧].

ولوقف عمليات التهجير حاول الشركس التفاوض مع الروس فارسلت قبائل الابازيخ وفداً الى الجنرال يفدوكيموف طالبوا فيه التوقف عن اجلائهم عن ممتلكاتهم في مقابل تعهدهم بالولاء للروس والعيش بسلام، الا انه رفض طلبهم، ثم طلبوا الذهاب لمقابلة القيصر الروسي فرفض الطلب ايضاً، لكنه سمح لهم بإرسال وفدهم الى تفليس لمقابلة ممثل القيصر الأمير باریاتنسكي لعرض مطالبهم عليه وقد ضم الوفد كلاً من (حسن بيدوخوف) ممثلاً عن الابازيخ و (حاجي برزك) عن الاوبيخ و(اسلام تخوشيف) عن السابسوغ، قابل الوفد مساعد الأمير باریاتنسكي، الذي لم يعدهم بشيء، لكنه اخبرهم ان القيصر سيزور المنطقة وربما يرضى بمقابلتهم، وطالبهم بالرضوخ والاستسلام اذا أرادوا العيش بسلام[٣٨].

وبالفعل زار القيصر الروسي الكسندر الثاني (١٨٥٥-١٨٨١ م) المنطقة وتحديداً منطقة تامان التي زارها في ١١ أيلول ١٨٦١م، فتمكن وفد شركسي من مقابلته، وطلبوا منه عدم تهجيرهم من مناطقهم، ووقف الاعمال العدائية ضدهم والكف عن سياسة منح أراضيهم للقوزاق، وقدم حاجي برزك طلباً بإيقاف بناء القلاع والحصون الروسية، الا ان القيصر رفض الاستجابة لطلباتهم، وكان يريد خضوعاً غير مشروط، فالاستجابة لطلباتهم تؤخر السيطرة على المنطقة في وقت حزم فيه الروس امرهم بتهجير قبائل الشركس من المناطق الجبلية الى مناطق حددوها اشبه بالمعتقلات الجماعية، ثم خير القيصر الروسي الوفد بين الرضا بالعيش في المناطق التي تحددها الإدارة الروسية او الهجرة الى الدولة العثمانية واعطاهم مهلة شهر؛ لاتخاذ القرار[٣٩]، واثناء هذه المفاوضات كانت عملية الإبادة والترحيل مستمرة، وفي عامي ١٨٦٠ -١٨٦١ تم ترحيل ما يقارب (١٨٧٤) عائلة شركسية الى الدولة العثمانية منها (٦٠٠) عائلة من منطقة كانت في بسلين[٤٠].

وأصدر الروس في ١٨ نيسان عام ١٨٦٢ تعميماً الى القبائل الشركسية القاطنة على ضفاف نهر لابا بالاستعداد للهجرة وسمحوا لهم بيع ممتلكاتهم ووعدوا بمنحهم جوازات سفر فورية، وفي الشهر التالي أي: ١٠ أيار ١٨٦٢ شكلت لجنة روسية مهمتها الإسراع بترحيل الشركس وكثفت القوات الروسية هجومها العسكري على الجانب الغربي من بلاد الشركس ودمرت القرى وقتلت الكثير من السكان لتجبر ما تبقى منهم على الهجرة، وفي المدة ١٨٦١-١٨٦٢ تم ترحيل معظم القبائل الشركسية القاطنة في المنطقة الواقعة بين نهري لابا وبلايا الى ساحل البحر الأسود وانشا الروس (٢٨) قرية في المنطقة لاسكان القوزاق بدلاً من السكان الأصليين[٤١].

وشهد صيف العام ١٨٦٢ وصول اكثر من (١٥) الاف شركسي الى الدولة العثمانية، ونظراً لتزايد اعداد المهاجرين طلبت الحكومة العثمانية إيقاف الهجرة مؤقتا لتتمكن من استيعاب المهجرين الذين وصلوا الى أراضيها، الا ان الحكومة الروسية رفضت إيقاف الهجرة، وطالبت العثمانيين بعدم إسكانهم في مناطق قريبة من الحدود الروسية [٤٢]، لذا استمرت عملية الهجرة وكانت العبارات العثمانية تنقل المهاجرين من موانئ البحر الأسود الى الأراضي العثمانية، وفي شهر تشرين الثاني من العام ١٨٦٣م تم نقل (٨٢٠٠) شركسي اغلبهم من قبائل الشابوغ، وفي شهر كانون الأول نقل (١٦٨٠) شخصاً الى استانبول و (٤٠٠) اخرين الى المدن العثمانية الأخرى [٤٣]، عاود العثمانيون الطلب من الحكومة الروسية في شهر تشرين الثاني من العام ١٨٦٣ تمديد امد الهجرة حتى ٢٠ أيار ١٨٦٤ ولاسيما ان هذا الشهر تحديداً شهد اكبر موجة ترحيل لم تتمكن الحكومة العثمانية من استيعابها بسبب المصاعب المالية، وقد اكد القنصل الروسي في استانبول لحكومته ان "خطة استيعاب المهجرين القفقاسيين اربكت الحكومة العثمانية"[٤٤] كما كتب المستشار العسكري في السفارة الروسية في القسطنطينية ق . فرانشيني الى وزير الحربية الروسي عام ١٨٦٣ قائلاً " ان نظام الترحيل القسري سيؤدي الى القضاء على المواطنين الأصليين واخلاء جميع انحاء القوقاز " فردّ عليه وزير الحربية: "نعم، ولكن هذا الحل الوحيد لإنهاء حرب القوقاز الى الابد"[٤٥] وأشار الى ذلك معظم قادة حرب القفقاس بقيادة يفدويكيموف إذ قالوا : "ان ما يجري من عمليات ترحيل ليست افعالا عرضية بقدر ماهي خطة مدروسة يتم تطبيقها بشكل جاد"[٤٦].

ومن الاحداث اللاحقة يتضح ان الحكومة الروسية عمدت الى تهجير الشركس على دفعات ولم يكن ذلك استجابة للطلب العثماني؛ وانما ليتمكن الشركس من توفير الأموال اللازمة للهجرة، فقد اصدر الجنرال يفدويكموف امراً الى رئيس مقاطعة الناتوخواج في ٣١ كانون الأول ١٨٦٣ ينص على تخصيص روبلين فقط لنقل كل شخص فيما يتكفل الناتوخواج ببقية المبلغ

وهو ثلاث روبلات، وان يتم تهجيرهم على دفعات لئلا تنخفض أسعار ممتلكاتهم بسبب كثرة العرض، وهو ما يعني عدم قدرتهم على دفع أجور النقل ومما يؤخر عملية الهجرة[٤٧]. وكانت السنوات ١٨٦٣-١٨٦٤ الأكثر ماساوية في تاريخ الشركس إذ هجرت قبائل الشابسوغ والابازيخ والناتوخواج والاوبيخ، في عملية اخلاء جماعي للشركس الغربيين على مرحلتين، الأولى: من مناطق سكناهم الى سواحل البحر الأسود والثانية من سواحل البحر الأسود الى الدولة العثمانية[٤٨].

وأعلنت روسيا في ٢١ايار ١٨٦٤ نهاية حرب القفقاس واحتفلت بسيطرتها التامة على معظم القفقاس وتحديداً بلاد الشركس، ورغم هذا فقد استمرت عمليات النزوح وسيق الشركس الى موانئ البحر الأسود وسط أوضاع موحشة أدت الى خسارة الكثير من الأرواح ثم نقلتهم القوارب العثمانية الى طرابزون او سامسون وواجهوا اثناء ذلك صعوبات لا تصدق، إذ اضطروا للانتظار من شهر الى عام دورهم في الإبحار في ظل الجوع والامراض المعدية التيفوئيد والجدري الذي حصد الأرواح، لتنقلهم السفن العثمانية الى طرابزون وسامسون، في الوقت الذي كانت روسيا تحتفل بانتصارها على هؤلاء العزل، وقد عبر عن ذلك اللورد نابير السفير البريطاني في سان بطرسبرغ (العاصمة الروسية آنذاك) : "كانت لغة الصحف الروسية في روسيا بشان هذا الموضوع لغة النصر وليس لغة الضمير " [٤٩]، وقد بلغت موجة النزوح ذروتها في نهاية هذا العام وهذه تمثل الموجة الثانية من موجات نزوح الشركس عن ديارهم، إذ أصدرت القيادة العسكرية الروسية بيانا في عام ١٨٦٤ م، اوجبت فيه على الشركس مغادرة أماكنهم خلال شهر واحد والا سيعدّون اسرى حرب وينفون الى سيبريا [٥٠]، وهي من اكثر موجات النزوح وأكثرها مأساوية في مدة الدراسة، إذ بدأت منذ شهر نيسان حتى شهر تشرين الثاني من العام ١٨٦٤ وعلى النحو الآتي [٥١] :

الشهر	عدد المهاجرين	مكان المغادرة
٢٢نيسان	٣٦٠٠شخص من الناتوخواي	عبر ميناء انابة
٢٩ نيسان	٨٨٦عائلة من الناتوخواي ٦٧٣عائلة من الشابسوغ	عبر ميناء انابة عبر ميناء كونستانتينوفسكي
٩/ايار	٧٢٩عائلة من الناتوخواي	عبر ميناء كونستانتينوفسكي
١٠/ايار	٣٤٠٠ شخص من الناتوخواي	عبر ميناء انابه
٢٠/ ايار	١٠٨٢عائلة من الشابسوغ ٧٦٦٦ شخصا من الناتوخواي	عبر ميناء انابه عبر ميناء انابه

٢١/ أيار	٢٤٧٥ عائلة من الناخواي	عب ميناء انابه
٢٣/ أيار	٣٣٥عائلة من الشابسوغ	عبر ميناء انابه
٢٧/ ايار	٩٠٨عائلة من الشابسوغ	عبر ميناء انابه
حزيران	٦٦٣٠شخصا من الشابوغ	انابه
١٢ تموز	١٢٨ عائلة من الشابسوغ	انابه
٢٣تموز	٦٠ عائلة من الناتوخواي	انابه
٢٤تموز	١٠٠٠شخص من الشابسوغ	انابه
أيلول –تشرين الاول	٢٠–٢٥ الف شخص هجروا من مناطق سكناهم في الغرب الى سواحل البحر الأسود ولم تشر الوثائق الى انتمائهم القبلي	
٢٨ تشرين الثاني	٢٥٠٠ شخص لم تحدد الوثائق انتمائهم القبلي	عبر ميناء نوفوروسيسك
١٢ تشرين الثاني	٤٠٠ شخص لم تحدد الوثائق انتمائهم القبلي	عبر ميناء نوفوروسيسك

بعدها قررت السلطات الروسية إيقاف الهجرة؛ بسبب الظروف الجوية على ان تستأنف في شهر اذار، وذلك بعد تحطم احد السفن العثمانية وكان على متنها (٤٧٠) شخصاً لم ينج منهم سوى (١٧٠)، الا ان هذا القرار لم يكن الأفضل للشركس المتواجدين في موانئ البحر الأسود انتظاراً لدورهم في الهجرة، إذ كانوا يعيشون في مخيمات في ظل ظروف جوية قاسية، تفشت بينهم الامراض، حتى انه في شتاء عام ١٨٦٥ توفي (١٥٠٠) شخص في ميناء نوفوروسيسك[٥٢].

وبدأت الحكومة الروسية منذ العام ١٨٦٥م في تغيير سياستها تجاه هجرة الشركس، فقد حاولت الحد عنها، ومع ذلك شهد هذا العام هجرة اعداد كبيرة منهم لكن ليس بحجم الاعداد التي شهدها العام السابق، إذ ادركت روسيا ان المناطق التي انتزعتها من الشركس واسكنت فيها الروس القوزاق لم تكن ملائمة لهم، فلم تستهوهم حياة الجبال، لذا تركوا وحداتهم السكنية وغادروا المنطقة وبقيت مساحات واسعة غير مشغولة، وأصبحت غير ملائمة للزراعة وماتت الكثير من

الأشجار المثمرة، ورأت روسيا بعد تهجيرهم ان الاراضي الواقعة على يسار نهر الكويان تحولت الى أراضٍ قاحلة[٥٣]، لذا اقترح الجنرال كاتشوف نائب القائد العام للجيش الروسي في القفقاس إيقاف الهجرة لقلة عدد السكان وحاجة روسيا اليهم؛ للعمل في المزارع، ولاسيما انه لم يتبق سوى القليل منهم يتراوح اعدادهم من (٨٠-١٠٠) الف شخص، وهم خاضعون بشكل تام للروس واعتادوا على القوانين الروسية[٥٤].

ومع ذلك فقد كان هناك موجات نزوح مستمرة في العامين ١٨٦٥-١٨٦٦، الا انها اقتصرت على اعداد محدودة لاتقارن بالعام السابق، إذ هجر الأشخاص الذين كانوا على السواحل بانتظار دورهم، أما من المناطق الداخلية فلم يسمح سوى للطبقات العليا من المجتمع والفئات المثقفة ولاسيما علماء الدين، في حين لم يسمح للطبقات الفقيرة بالهجرة للحاجة اليهم للعمل في الأراضي الزراعية[٥٥]، ثم أصدر قرار من الحكومة الروسية عام ١٨٦٧ منعت فيه هجرة الشركس الجبليين الى خارج البلاد منعاً قاطعاً وبقيت كذلك حتى استأنفت عام ١٨٧٢[٥٦].

ثالثاً: معاناة الشركس في الأراضي العثمانية :

عانى الشركس من أوضاع مأساوية اثناء رحلة الهجرة من مناطقهم الى المناطق التي هجروا اليها في منطقة الكوبان او سواحل البحر الأسود للذين هجروا الى الدولة العثمانية، فقد الشركس غالبية ممتلكاتهم ومات الكثير منهم في طريقهم الى المجهول، هجروا في ظروف صعبة، فقد بقي الكثير منهم على سواحل البحر الأسود ينتظرون دورهم في الهجرة واثناء ذلك مات الكثير منهم بسبب البرد وتفشي الامراض وقلة المواد الغذائية فضلاً عن موت الجزء الاخر منهم عند وصولهم الى الدولة العثمانية اثناء إعادة توطينهم، وكان أصحاب السفن التي تنقلهم يسعون لتحقيق اقصى ربح من دون الالتفات الى سلامة المهجرين، فكانوا يحشرون ٢٠٠-٣٠٠ شخصاً في سفن لا تتسع الا لـ(٥٠-٦٠) شخصاً وقد تسبب هذا الامر في غرق الكثير من السفن، ووضع قسم منهم في اسفل السفن مما أدى الى موتهم اختناقا، وقد تحدث بعض الروس والاوربيون عن الفظائع التي رافقت طرد الشركس، اذ شوهدت مئات من جثث الأطفال والنساء والشيوخ[٥٧]، فقد كان الساحل الشمالي الشرقي للبحر الأسود مزروعاً بجثث الموتى او الذين ينازعون الموت وقد روى شهود عيان مشاهد مرعبة عن تلك الحالات، وعلى الرغم من ان الحكومة الروسية خصصت بعض الأموال القليلة لهجرة الشركس ومنها ٢٨٩,٦٧٨ روبلا أجور نقل على السفن، الا ان تلك الاموال لم تصل اليهم لانها سرقت من كبار الموظفين الروس، وكان هناك تعمد في نقلهم على متن سفن مثقوبة تغرق عند الإبحار للتخلص من الكثير منهم، إذ مات

الكثير من هؤلاء غرقاً، وقد غطت روسيا على تلك الحوادث وايدتها في سجلات على انها حالات غرق بسبب العواصف(٥٨).

ولم يكن حال الشركس أفضل بعد وصولهم الى الدولة العثمانية، فعند نزولهم الى الموانئ العثمانية لقي الكثير منم حتفه بسبب الامراض التي انتشرت بينهم: مثل الجدري، والتيفوئيد، والاسقربوط، ففي طرابزون وحدها كان يموت يومياً في عام ١٨٦٣ (٢٠-٥٠) شركسياً وفي العام التالي كان يموت (٥٠٠) شخص في اليوم، فضلاً عن أنه توفي في موانئ أخرى مثل: سامسون، وسينوب اعداد مماثلة، في قت لم تكن الدولة العثمانية مهيأة لاستقبالهم، فقد كانت بالأساس تعاني من تدهور على المستوى الصحي والاقتصادي ' لذا لم تتمكن من تقديم المساعدات المالية والمؤن ولم تكن هناك علاجات لمواجهة الامراض التي انتشرت بينهم، وقد وصلت اعداد الوفيات الى حد الثلث، فضلاً عن انتشار المرض بين السكان في المناطق التي وصلوا اليها، وقد توفي في ذروة سنوات الهجرة بين عامي ١٨٦٣-١٨٦٤ في طرابزون وحدها (٣٠٠) شركسي و (٥٣٨) شخصاً من السكان المحليين (٥٩) وكانت القوارب تنزل الشركس على ارصفة الموانئ العثمانية حفاة عراة منهكين ومرضى على وشك الهلاك فضلاً عن ان بعضهم مات في الطريق فانزلت الكثير من الجثث الى السواحل العثمانية، وكان هذا سبباً في تفشي الكثير من الامراض في المناطق التي وصلوا اليها(٦٠)، وتشير تقارير القناصل الأجانب ومنها التقرير الذي قدمه القنصل الروسي موشينينا في طرابزون في ٢٨ كانون الأول ١٨٦٣م الى عدم اكتراث السلطات العثمانية لمعاناة هؤلاء، جاء في التقرير: "... قاموا بوضعهم في خيم بالية في الساحة الرئيسة وهم بكل معنى الكلمة يغرقون بالأوساخ وانتشرت بينهم امراض الجدري والتيفوئيد... ويموت يومياً ربع العد الإجمالي للمهجرين ..."(٦١)، وكان الشركس الذين وصلوا الى الشرق العثماني هم ما تبقى من شعبهم وكانوا معدمين الى حد مخيف، لذا كانوا بهذا الوضع مضطرين الى النهب لأجل بقائهم مما زاد الفوضى القائمة في شرق الاناضول، فضلاً عن وجود الشركس أحدث في بعض المناطق خللاً في التوازن العرقي حتى ان بعض المناطق أصبحت فيها جماعات كبيرة من الشركس(٦٢).

ولم تنته معاناة الشركس بوصولهم الى السواحل العثمانية بل بدأت معاناة جديدة حينما نقلوا الى المناطق الداخلية في الدولة العثمانية، إذ تم توزيعهم في ولايات الدولة المختلفة، وبحسب الحاجة، وقد استغل العثمانيون الشركس واسكنوهم في مدن الحدود المتاخمة لروسيا ليكونوا في مواجهتها اثناء الحروب، وكأنما نقلوا من جبهة الى أخرى واسكنوا بعضهم على الشريط الفاصل بين القرى التركية والبلغارية لئلا لا يجد البلغار سواهم عندما يهاجمون تلك القرى فضلاً عن أنهم

جعلوا بعضهم دروعاً لحماية استانبول حينما اسكنوهم حولها، واسكنوهم أيضاً في المناطق ذات الغالبية غير المسلمة لوازنوا في اعداد السكان[٦٣]، وكانت الدولة العثمانية تنوي استخدام الشركس في قواتها العسكرية لمحاربة الجماعات غير الموالية لها، إذ شكلت منهم وحدات عسكرية نظامية وبحلول حزيران ١٨٦٤ م انضم ما يقارب (١٠) الاف شركسي الى القوات العثمانية وقد استخدم هؤلاء في قمع تمردات البلقان في الأعوام ١٨٦٧–١٨٦٨، وساعد استخدام هؤلاء في تقوية السلطة المركزية العثمانية في المناطق غير المستقرة[٦٤].

ففي البلقان تم إسكان (٦٠٠) الف شركسي في المدة ١٨٦٠ –١٨٦٦، ووضع (١٥٠) الف منهم في المناطق الحدودية في نيش وكوسوف وبرشتينا وفدين وصوفيا وزشتوفي وغيرها، واستخدموا في اخماد تمردات البلقان، ودخلوا في صراع مع السكان المحليين حول الأراضي في البلقان ومناطق أخرى في الدولة العثمانية[٦٥].

اما في الاناضول فتمّ توزيعهم بين مناطق سامسون وسينوب على البحر الأسود، وكذلك في ماردين لمواجهة ثورات الاكراد، كما اسكنوا في العراق في بعض المناطق ليجعلوا فيها توازناً مذهبياً، كذلك في المناطق ذات الأكثرية النصرانية والمعروفة بثوراتها المستمرة ضد الحكم العثماني، وفي استانبول وضعوا حول المدينة وشكلوا طوقاً لحمايتها[٦٦]، فضلا عن اسكانهم في بلاد الشام منذ العام ١٨٦٠، إذ سكنوا في حلب ودمشق وبيروت والقدس وكانت الاعداد الأكثر قد هاجرت الى سوريا عامي ١٨٦٥–١٨٦٦ وقد استعمل الشركس في قمع تمردات تلك المناطق التي عرف عنها التمرد ضد الحكم العثماني بفعل التدخل الأجنبي ولاسيما ان المنطقة معروفة بتنوعها العرقي، ولم تكن هذه المناطق تستهوي الشركس، لذا عمدت الى توزيع الأراضي عليهم، لان استقرارهم في هذه المناطق يحقق للدولة العثمانية مكاسب سياسية واقتصادية وعسكرية [٦٧]، وقد جند هؤلاء ضمن القوات العثمانية المتواجدة هناك واستخدموا في قمع التمردات، فضلاً عن انهم استعملوا في مجال الزراعة، ولاسيما ان الكثير من المناطق في بلاد الشام يسكنها البدو غير المعتادين على حياة الاستقرار لذا حققت باسكانهم في هذه المناطق مردوداً اقتصادياً فضلاً عن تحقيق الاستقرار [٦٨] من خلال زيادة اعداد الموالين لها في المنطقة ضد الدروز والبدو المتمردين على سلطتها، كما منحتهم سلطة على المنطقة بالمناصب الإدارية والعسكرية[٦٩]، ولم يكن ذلك في صالح الشركس الذين استخدموا أداة في الصراعات الداخلية في الدولة العثمانية عامة وهي مأساة أضيفت الى مآسيهم.

الخاتمة

من الاستعراض الذي قدمناه في هذا البحث نجد ان الشركس شعب تعرض وبكل وحشية الى إبادة حقيقية اقتلع من ارضه بالقوة، أدت الى موت اعداد كبيرة اثناء مقاومتهم للاحتلال الروسي الذي استخدم أسلوب القوة والتجويع والقتل لإجبارهم على الرحيل، وقد شهدت فترة الدراسة ذروة التهجير الشركسي، اذ هجر فيها ما يقارب ٩٠٪ منهم، ولم يكن ذلك نتيجة الاجتياح الروسي لمناطقهم وانما كان بموجب خطط وضعتها القيادة العسكرية الروسية في القفقاس لإفراغ المنطقة من سكانها الأصليين واستبدالهم بالروس والقوزاق ليضمنوا استقرار المنطقة ذات الأهمية الاستراتيجية لصالحهم .

وتم التهجير بالاتفاق مع الحكومة العثمانية التي لم تكن بعيدة عن التآمر على الشعب الشركسي، إذ كانت مصالحها وعلاقاتها الخارجية تأتي بالدرجة الأولى، فضلاً عن انها استغلتهم في معالجة مشاكلها الداخلية في وقت لم توفر لهم احتياجاتهم الضرورية للعيش فمات الكثير منهم في الموانئ العثمانية من الجوع والبرد والمرض ولم تلتفت لهم السلطات المحلية.

وقد أخل تهجير الشركس بالتوازن العرقي والديني سواء في القفقاس او حتى في المناطق العثمانية التي هجروا اليها، فضلاً عن أنه أحدث صراعات داخلية في الدولة العثمانية من نوع اخر، كما أدى الى انتشار الامراض والاوبئة فيها بسبب وصول اعداد كبيرة من المصابين بتلك الامراض الى أراضيها في وقت لم تكن السلطات العثمانية قادرة على مواجهة هذا الامر بسبب حالة التردي في أوضاعها العامة.

وظهر في البحث ان الشركس الذين هجروا الى الدولة العثمانية وكانوا يأملون الاستقرار فيها، لم ينعموا بالاستقرار فقد انتقلوا من منطقة الى اخرى وبحسب ما تقتضيه المصلحة العثمانية.

مولدافيا
أوكرانيا
روسيا
رومانيا
بحر آزوف
صربيا
بخارست
كوستانتا
شيركيسيا
بحر قزوين
البحر الأسود
كوسفو
صوفيا
فارنا
أبخازيا
تشيتشنيا
بورغاص
سنوب
جورجيا
مكدونيا
بلغاريا
سامسون
طرابزون
تبليسي
إسطنبول
ساكريا
البانيا
أذربيجان
بريفان
بورصة
أنقرة
إزيروم
أرمينيا
اليونان
إسكيشهر
إزمير
قيسارية
تركيا
إيران
أثينا
أنتاليا
غازيانتيب
ديار بكر
أضنة
حلب
سوريا
قبرص
حماة
البحر الأبيض المتوسط
بيروت
حمص
بغداد
بنغازي
حيفا
دمشق
العراق
ليبيا
عمان
الأردن
القاهرة
السعودية
مصر
الهجرات الشركسية
Walid Hakouz 2011
الهجرة الأولى
الهجرة الثانية

الهوامش

References

(1) John F.Baddeley,The Russian Conquest of The Cancasus, (London,1908), p. 24.

(٢) للتفاصيل عن هذه الحروب ينظر: علي محمد كشت، الصراع الداخلي في منطقة شمال القفقاس الشركسية دراسة وتحليل ١٩٩١-٢٠٠٧، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٩، ص١٦.

(٣) للتفاصيل عن بنود المعاهدة بلغراد ١٧٣٩ ينظر:

Rasat Ekram, Osmanili Muahedeleri ve Kapitulasyonlar 1300 – 1920 ve Lozan Muahedesi 24 Temus 1923, (Istanbul – 1934), ss. 92 – 95 ; J. C. Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East, A Documentary Record : 1535 – 1914, vol. I, (New york – 1956), p.p. 47 – 51 .

(٤) القوزاق: ينتمون عرقيا الى السلاف ويسكنون المناطق الممتدة من نهر الفولغا الى نهر الدنيبر، وكان لهم تنظيم عسكري يقاتل الى جانب القوات المغولية، وبعد انهيار دولة المغول تحول ولائهم الى الروس واستوطنوا في المناطق الواسعة من القفقاس، للتفاصيل عنهم ينظر : عبد الرزاق بيك الدنبلي، الماثر السلطانية، تاريخ ايران وحروبها مع الروس في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين، ترجمة : محمد سيد أبو زيد، (القاهرة، ٢٠٠٥)، ص١٣٣؛

Gabor Agoston and Bruce Masters, Encyclopediaof The Ottoman Empire, (U.S.A, 2008), pp.149-151.

(5) Austin Jersild, orientlism and Empire : North Caucasns Mountain Peoples and The Georgian Frontier 1845-1917, (Canada,2002), p. 16.

(٦) منذر بج، الشركس عبر التاريخ، (حلب، ٢٠٠٦)، ص٧٦؛ كشت، المصدر السابق، ص ١٧.

(٧) للتفاصيل عن هذه الحرب ينظر: عبد الرحمن شرف، تاريخ دولت عثمانية، جلد٢، (استانبول، ١٣١٧هـ)، ص١٨٦؛

Cüneyd Harputlu, Osmanli Sultanlari,(nIstanbul,1970), S.212

(٨) للاطلاع على بنود المعاهدة المكونة من (٢٨) مادة وملحقين سريين ينظر:

Ekram, A.G.E, ss. 102-103P; Hureewitz, op.cit, pp.54-61.

(٩) للتفاصيل عن تلك الحروب واسبابها ينظر: كامل باشا، تاريخ سياسي دولت عثمانية، جلد ثاني، (استانبول، ١٣٢٧)، ص ص٢٤٩-٢٥٣؛ يلماز اوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مجلد ١، (استانبول، ١٩٨٨)، ص٦٣٩؛ روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: بشير السباعي، ج٢، (القاهرة، ١٩٩٢)، ص١١، أما عن الشيخ منصور وحركة المقاومة ضد الروس ينظر: احمد جودت، تاريخ جودت، جلد ثالث، ايكنجي طبع، (استانبول، ١٣٠٩ هـ)؛

Василий Александрович Потто, Кавказская война (От древнейших времен до Ермолова), Том 1,2006, л. 66.

(١٠) عن تلك الحملة ينظر:

Потто, Указ. соч, Том 1, л л. 91–93; Baddeley, Op. Cit., p.55.

(11) Alfred rambauud, Russia, Vol. II, (Newyork,2010) p. 113.

وللاطلاع على بنود صلح ياسي ينظر:

Ekram, A.G. E, SS.112-114;

احمد حامد ومصطفى محسن، توركية تاريخي، (استانبيول، ١٩٢٦)، ص ص٣١٠-٣١١.

(١٢) للتفاصيل عن الهجمات الروسية على بلاد الشركس، ينظر:

Ф.А.Щербина, История Кубанского казачьего Войска, Том 2 (Москва- 1913), л л. 144-177.

وللتفاصيل عن بنود معاهدة بخارست ينظر:

Ekram, A. G. E, SS.133-135.

(١٣) عن هذه الحرب واسبابها ينظر: علي رشاد، عصر حاضر تاريخي، (استانبول، ١٩٦٠)، ص٦١٣؛

Turan Karanfil,1828-1829 Osmanli-Rus Savaşinde Edime Ve Çevresi, lisans tezi, Trakya üniversitesi,2005, S.74

(١٤) وثائق الإبادة الشركسية، الوثيقة رقم (٥٧). مجموعة من الوثائق الروسية نشرت عام ٢٠١٢على الموقع:

www.justicefornorthcaucasus.com.

وللتفاصيل عن عمليات الإبادة خلال هذه المدة ينظر: المصدر نفسه الوثائق رقم (٥٣) و(٥٤) و(٥٨) و(٥٩).

(15) Ekram, A.G. E, SS.148-150; Edward Creasy, History of the ottoman Turks: Beginning of the Empire to the Present time, vol. II, (London, 1965), p. 519.

(١٦) للتفاصيل عنها ينظر: وثائق الإبادة الشركسية، الوثائق رقم (٣٦)، (٣٧)، (٣٨)؛

Щербина, Указ . соч ., Том 2, л. 406 – 408;

موفق عبدالله فتحي اللويزي، مقاومة القفقاس الشمالي للاحتلال الروسي والموقف العثماني منها (١٧٨٥-١٨٥٩م) رسالة ماجستير، كلية الاداب، جامعة الموصل،٢٠١٧، ص ص٦٤-٦٩.

(١٧) صدر عن هذا المؤتمر بيان اعلن فيه الاستقلال للتفاصيل ينظر:

В публикации В. М. Аталикова. См.: Живая старина, 1992, № 2. с. 20-23

وثيقة باللغة الروسية منشورة على الموقع:

http//www.circassian-genocide.com;

احمد إسماعيل، تاريخ حرب القفقاس ونتائجها من احداث ومظالم، (دمشق، ١٩٩٥)، ص٢٥.

(١٨) عن زيارة القيصر الروسي وبناء الحصون ينظر:

J.Milton Mackie,Live of Schamyl and Narrative of the Crcasian war Indendnce Against Russia, (Boston, 1856),pp.207-208.

(١٩) للتفاصيل عن دور نواب الشيخ شامل ينظر: اللويزي، المصدر السابق، ص ص١١٢٥-١٣٦، ١٦٥-١٧٠.

(٢٠) وثائق الإبادة الشركسية، الوثيقة رقم (١١٦)؛ شوكت المفتي، أباطرة وأبطال، (عمان، ١٩٩٥)، ص١٢٧؛

А.В. КУШХАБИЕВ, ПРОБЛЕМЫ РЕПАТРИАЦИИ ЗАРУБЕЖНЫХ ЧЕРКЕСОВ: ИСТОРИЯ, ПОЛИТИКА, СОЦИАЛЬНАЯ ПРАКТИКА, (Нальчик, 2013), л. 10

(٢١) تامارا بلوفينكيا، ضياع بلاد الشراكسة، ترجمة: عمر شابسيغ، (دمشق، ٢٠٠٢)، ص١٤٨؛ سعاد محمد سعيد صعب، الشراكسة في الوطن العربي بين الحفاظ على الهوية القومية والاندماج الحقيقي ١٨٦٤-٢٠١٠، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة القدس، القدس، ٢٠١١، ص٤٢.

(٢٢) أ. أ. ايدميرو، وصية شيشاني لاخيه، ترجمة: حميد يونس، (عمان، ١٩٨٨)، ص٣٢؛

КУШХАБИЕВ, Указ . соч, л.11.

(٢٣) ايد ميرو، المصدر السابق، ص٣٢.

(٢٤) بلوفينكيا، المصدر السابق، ص١٥٢؛

Kadir Natho, Russian- Circzssian war, p.40.

بحث منشورعلى الموقع

www.circassianworld.co

(٢٥) إسماعيل عبد الحميد خن، الشيشان حرب إبادة وجريمة عصر، (دمشق،١٩٩٧)، ص٢٤؛

Natho, Op. Cit., p.41.

(26) КУШХАБИЕВ, Указ. соч, л.11; Т.Х. Алоев, РЕФЛЕКСИИ О НЕКОТОРЫХ СХОДСТВАХ И РАЗЛИЧИЯХ В ОСМЫСЛЕНИИ ГЕНОЦИДА АРМЯН И ЧЕРКЕСОВ, КАВКАЗСКАЯ ВОЙНА: АКТУАЛЬНЫЕ ПРОБЛЕМЫ ИСТОРИЧЕСКОГО ДИСКУРСА, (Нальчик, 2014), л.63.

(27) КУШХАБИЕВ, Указ. соч, л.10.

كان هدف بريطانيا هو اثارة المنطقة ضد الروس والهائهم في مشاكل القفقاس، ولم تكن تنوي فعليا تقديم المساعدة للشركس، وانما استخدامهم للضغط على روسيا لحماية مصالحها، للتفاصيل عن الموقف البريطاني من قضية الشركس ينظر:

Edmund Spencer, Travelsin Circassia krim-Tatary Including a Steam Royag Donm The Danab fromvinna to canstantinople and round the Black Sea in 1836, vol. II, (London,1839), pp.398-399.

(٢٨) المفتي، المصدر السابق، ص ص١٣٥-١٣٧؛ اللويزي، المصدر السابق، ص ص١١٨-١٢٠.

(29) Natho, op. cit., p. 42; КУШХАБИЕВ, Указ. соч, л.1о.

(30) Алоев, Указ. соч, л.63;

يا.ابراموف، القوقازيون الشراكسة، ترجمة : زهدي سطاس وراتب سطاس، (دمشق،١٩٨٩)، ص٢٢.

(٣١) قاسم مرتقوه، الشركس حضارة وماساة، (دمشق،١٩٩٩م)، ص ص١٩،٦٥؛ كشت، المصدر السابق، ص ص ٣٦-٣٩.

(32) КУШХАБИЕВ, Указ. соч, л.1о.

(٣٣) صعب، المصدر السابق، ص٤٣.

(٣٤) وثائق الإبادة الشركسية، الوثيقة رقم ١١٣. حملت الحكومة الروسية الشركس أنفسهم مسؤولية الهجرة ولم تعترف بانها كانت تهجرهم قسراً وربطت ذلك برغبة الشركس بالعيش في دولة مسلمة، وان الهجرة جاءت استجابة لدعاية مبعوثي الدولة العثمانية وبريطانيا وكذلك علماء الدين المسلمين الذين كانوا يحثونهم على الهجرة الى الدولة العثمانية، في حين ان الحكومة القيصرية سمحت لهم بالاستيطان في مناطق الكوبان وهي مناطق مستنقعات أدت الى اصابتهم بالكثير من الامراض المعدية لكنهم رفضوا السكن فيها، للتفاصيل ينظر:

Кушхабиев А.В., К ВОПРОСУ О ФАЛЬСИФИКАЦИИ ИСТОРИИ ЗАРУБЕЖНОЙ ЧЕРКЕССКОЙ ДИАСПОРЫ В РАБОТАХ НЕКОТОРЫХ СЕВЕРОКАВКАЗСКИХ АВТОРОВ: АКТУАЛЬНЫЕ ПРОБЛЕМЫ ИСТОРИЧЕСКОГО ДИСКУРСА (к 150-летию окончания), (Нальчик, 2014), л.118.

(٣٥) وثائق الإبادة الشركسية، الوثيقة رقم ١٢٧.

(٣٦) للتفاصيل عن هذه العائلات المهجرة واعداد افرادها، ينظر: وثائق الإبادة الشركسية، الوثائق رقم (١١٤)، (١١٥)، (١١٩)، (١٢٠)، (١٢٣)، (١٢٥)، (١٢٦)، (١٢٩).

(37)Кушхабиев, Указ. соч, л.118.

(38) КУШХАБИЕВ, Там же, л .11; Natho, op. cit., pp.42-43.

(39) Notho, op. cit., p. 45; КУШХАБИЕВ, Указ. соч, л.11.

(٤٠) وثائق الإبادة الشركسية، الوثائق رقم (١٥١) و (١٥٨) و (١٧٠).

(٤١) المصدر نفسه، الوثيقة رقم (١٧٥)؛

КУШХАБИЕВ, Указ. соч, л.11; Алоев, Указ . соч, л.67.

(42) КУШХАБИЕВ, Указ. соч, л.11.

(٤٣) وثائق الإبادة الشركسية، الوثيقتان رقم (٢٢٢) و(٢٣١).

(٤٤) بولوفينكينا، المصدر السابق، ص١٥٢؛ صعب، المصدر السابق، ص٤٣.

(45) Алоев, Указ. соч, л.64.

(46) Там же.

(٤٧) وثائق الإبادة الشركسية، الوثيقتان رقم (٢٣٦) و(٢٥٥).

(48) КУШХАБИЕВ, Указ. соч, л.12;

بولوفينكينا، المصدر السابق، ص١٤٨.

(٤٩) جستن مكارثي، الطرد والابادة مصير المسلمين العثمانيين ١٨٢١-١٩٢٢م، ترجمة: فريد الغزي، (بيروت، د.ت)، ص٦٠؛ صعب، المصدر السابق، ص ص٤٢-٤٣؛

КУШХАБИЕВ, Указ. соч, л.11.

(٥٠) امين سكموغ، مدخل الى تاريخ الشراكسة، (دمشق، ١٩٨٤)، ص٨٤؛ كشت، المصدر السابق، ص٣٥.

(٥١) تم اعداد هذا الجدول استنادا الى وثائق الإبادة الجماعية الشركسية، الوثائق رقم (٢٦٣)، (٢٧٥)، (٢٧٧)، (٢٧٩)، (٢٨٤)، (٢٩٠)، (٢٩٤)، (٣٠١)، (٣٠٦)، (٣٠٩)، (٣١٤)، (٣١٥)، (٣٢٠)، (٣٢٣).

(٥٢)وثائق الإبادة الشركسية، الوثيقتان (٣٢١)، (٣٢٣).

(٥٣) ابراموف، المصدر السابق، ص٢٥-٢٦.

(٥٤) وثائق الإبادة الشركسية، الوثائق رقم (٣٣٢)، (٣٤٨)، (٣٧٠).

(٥٥) المصدر نفسه، الوثيقتان (٣٣٢)، (٣٣٨).

(٥٦) ابراموف، المصدر السابق، ص٢٦.

(57) КУШХАБИЕВ, Указ. соч, л л .12-13.

(٥٨) ابراموف، المصدر السابق، ص٢٣-٢٤.

(٥٩)مكارثي، المصدر السابق، ص٦٢-٦٣.

(٦٠)وثائق الإبادة الشركسية، الوثيقة رقم (٢٣٣).

(٦١)المصدر نفسه، الوثيقة رقم (٢٣٤).

(٦٢) مكارثي، المصدر السابق، ص٦٧-٧٧.

(٦٣) محمود عبد الرحمن، تاريخ القوقاز نسور الشيشان في مواجهة الدب الروسي، (بيروت، ١٩٩)، ص٧٥-٧٦؛

КУШХАБИЕВ, Указ. соч, л .32.

(٦٤) ابراموف، المصدر السابق، ص٢٥؛ صعب، المصدر السابق، ص٤٣.

КУШХАБИЕВ, Указ. соч, л л .32-34

(٦٥) محمد خير مامستر، الموسوعة التاريخية للامة الشركسية، مجلد ٤، (عمان، ٢٠٠٩)، ص٤٨؛

КУШХАБИЕВ, Указ. соч, л . 32.

(٦٦) مامستر، المصدر السابق، ص٨٦-٨٧.

(67) Berat yildiz, emigrations from the Russiab Empire to the itoman Emppre: An Analysis in the Light of the New Archival, A. Masters the, Bikent University, 2006, p.106; КУШХАБИЕВ, Указ. соч, л.123.

(68) yildiz, op. cit., p.106-107

(69) Ibid, p.114;

صعب، المصدر السابق، ص٤٦.